الفصل الثالث

انتشار الإسلام

فى شبه القارة الهندية

وبلاد السند وبلاد البنجاب

انتشار الإسلام فى شبة القارة الهندية

(بلاد الهند وبلاد السند)

تذكر لنا كتب التاريخ أن الإسلام حين أخذ ينتشر فى شبه القارة الهندية بدأ فى الانتشار بعد ظهوره مباشرة فى سواحل جنوب بلاد الهند على أيدى التجار العرب والجاليات العربية المقيمة هناك، بينما تأخر انتشار الإسلام فى سواحل بلاد السند، وأما الدعوة المنظمة إلى الإسلام بلاد السند فقد بدأت بعد الفتح العربى لها فى أواخر القرن الأول للهجرة.

(أ) انتشار الإسلام فى السواحل الجنوبية لبلاد الهند:

كانت العلاقة التجارية قائمه بين العرب وسكان سواحل جنوب الهند منذ آلاف السنين قبل الإسلام، كانت الأسر والجاليات العربية تقيم فى هذه السواحل، كان العرب يقومون بالتجارة ما بين البلاد العربية وبلاد الهند وغيرها عن طريق البحر والبر.

ولما سمع العرب هناك عن ظهور الإسلام فى شبة الجزيرة العربية دخلوا فيه بعد سنوات قليلة من بعثة الرسول الأعظم محمد ﷺ، ثم أخذت الجاليات العربية فى بلاد الهند تلعب دورها كمراكز تبليغ للإسلام بطريقة غير مباشرة، فقد كان الإسلام قد أثر على الحياة الاجتماعية للعرب بشكل ملحوظ مما حصل سكان تلك المناطق إلى أن يلاحظوا ذلك التغيير عى العرب وكانوا يتعجبون ويتساءلون عن السبب فى ذلك، حتى سمعوا من العرب عن ظهور دين جديد فى الجزيرة العربية، وهو الإسلام، وكانوا يتناقشون المسائل الإنسانية من خلال تعاليمه السامية العادلة، كما كان بعض العرب أنفسهم يتلهفون على تبليغ الإسلام منتهزين الفرص بقصد الدعوة أو بقصد الإخبار، وذلك لفرحتهم الكبيرة بهذا الدين الحنيف الذى أخرجهم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور المعرفة والحق.

فى الوقت الذى كانت الخلافات المذهبية قد بلغت أشدها فى جنوب بلاد الهند بل فى شبه القارة الهندية كلها بين أصحاب المذاهب البرهمية والبوذية والجينية، وكانت البرهمية تحارب البوذية والجينية اللتين ثارتا عليها بسبب تطبيقها لنظام الطبقات غير العادل فى المجتمع، مما اضطر معه البوذيون والجينيون بالانتقال إلى المناطق الشمالية لبلاد الهند ولاسيما إلى بلاد السند، وكان أصحاب الديانة البرهمية بجانب اشتراكهم فى المناظرات والمباحثات الدينية لإيجاد حجج بل حيل لقمع أصحاب المذاهب الأخرى، كانوا يستغلون سلطتهم السياسية أيضا فى القضاء على المذهبين الآخرين، ويقومون بالقتل الجماعى والتعذيب الوحشى لأتباعهما بتأييد الحكام أنفسهم، ولاشك فى أن سكان بلاد الهند وبلاد السند ما عدا البراهمة كانوا يعيشون فى هذا الوقت الفوضى المذهبية والفكرية والقلق النفسى وعدم الشعور بالاستقرار الاجتماعى بل الخوف المستمر على الأرواح والأملاك، وكانوا لذلك يفكرون فى الخلاص منها والبحث عن مذهب أو دين جديد عادل يضمن لهم الحرية الروحية والسعادة الاجتماعية.

دور التجار والجاليات العربية فى الدعوة فى الإسلام:

وكان للتجار العرب نفوذ كبير فى سواحل بلاد الهند وكانوا حصلوا على الإذن للانتقال ببضائعهم التجارية من المدن الساحلية إلى المدن الداخلية الأخرى، كما كانوا ينتقلون من ميناء إلى ميناء بسفنهم التجارية، وكان البراهمة لا يرون خطرا للإسلام والمسلمين سياسيا لقلة عدد العرب، وبالتالى لم يكونوا يهتمون بالتجار العرب أو قيامهم بالتبليغ للإسلام بقدر اهتمامهم الشديد بالبوذيين ومحاربتهم سياسيا ومذهبيا لأن التجار العرب بجانب كونهم من الأقلية كانوا يساهمون بقسط كبير فى النشاط التجارى وفى زيادة الدخل القومى لبلاد الهند مع عدم تدخلهم فى الأمور السياسية فيها، ولذلك كان الحكام والعوام يعاملونهم معاملة طيبة وباحترام بالغ، وكانوا يهتمون بأقوالهم وأفعالهم أيضا، وبذلك كان العرب فى مأمن من الضغط المذهبى والسياسى وبعيدين عن شر البراهمة ولذلك

عاشوا فى استقرار وطمأنينة، قائمين بشعائرهم الدينية ومبلغين للإسلام فى كل ناحية وفى كل مناسبة بطريقة عادية غير منتظمة.

ويبدو أن نفوذ هؤلاء التجار العرب أو تلك الجاليات العربية قد ازداد بعد دخول العرب فى الإسلام، فقد ذكرت الكتب التاريخية عن قيام جاليات عربية جديدة فى المدن السحلية ببلاد الهند ابتداء من أوائل القرن الأول الهجرى إلى القرن الرابع الهجرى كما ظهر التقدم بوضوح فى جميع مجالات الحياة عند هؤلاء العرب بعد مجىء الإسلام، وبالتالى أثر فى الحالة التجارية وساعد على توسيع ميدانها ولاسيما بعد استيلاء العرب على آسيا وشمال أفريقيا بعد الفتوحات الإسلامية فيها، وبذلك اتسعت دائرة التجارة العربية حيث كانت السفن التجارية تتحرك من موانى البحر الأبيض المتوسط وتسير إلى موانى بلاد السند وبلاد الهند وخليج البنغال (بنجلاديش) ثم إلى بلاد الصين وكان لذلك التقدم الشامل فى حياة العرب أثر كبير فى زيادة نفوذ العرب بتلك السواحل الهندية وبالتالى فى زيادة انتشار الإسلام بها.

ولا شك فى أن العرب بعد أن دخلوا الإسلام وتغيرت حالتهم الفكرية والاجتماعية والاقتصادية بدأوا يهتمون بالناحية الدينية اهتماما كبيرا، وكانوا يرون تأدية صلاة بالجماعة شعارا اجتماعيا مهما لدينهم، فلم يكونوا يهملون أداء الفرائض مراعاة للظروف الاجتماعية أو خوفا من غضب أفراد المذاهب الأخرى وضلك لتأكدهم من صحة هذا الدين ولإيمانهم بحماية الله لهم: " إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " فكان من أثر إصرارهم على المضى فى طريق الحق بتمسكهم بدينهم وإخلاصهم له أن اعترفت الحكومات الهندية المحلية أيضا بحرية العرب فى الشئون المذهبية وحق التصرف فى المعاملات الاجتماعية والاقتصادية حسب أحكام الشريعة الإسلامية ومنذ أواخر القرن الأول الهجرى أخذت الجاليات العربية تزداد توسعا بمرور الزمن حتى ارتفعت نسبة السكان العرب فى بعض المناطق بالسواحل الهندية الجنوبية إلى عشرين فى المائة، وهذه النسبة الكبيرة

للعرب لم تكن نتيجة لقدوم العرب الجدد من الخارج فحسب بل كانت أيضا بسبب زواج العرب من نساء تلك البلاد وكثرة الإنجاب وكان أولادهم منهن يعاملون أيضا كمعاملة العرب الأجانب وبالتالى كان يزيد عدد المسلمين ويزداد انتشار الإسلام.

وعلى العموم فإن التبليغ للإسلام فى القرن الأول الهجرى فى السواحل الجنوبية لبلاد الهند، وكان على أيدى هؤلاء التجار العرب والجاليات العربية المقيمة هناك، ثم لما كثر كبار علماء الإسلام ولاسيما فى القرن الخامس الهجرى بدأ هؤلاء العلماء فى تثقيف المسلمين وإدخال الكثيرين من غير المسلمين فى دائرة الإسلام، وبذلك تعتبر الخدمة التى قدمها هؤلاء العرب التجار والجاليات العربية حتى القرن الخامس الهجرى ببلاد الهند أكبر خدمة للإسلام وأعظم هدية لهؤلاء الذين تشرفوا بدخولهم فى نور الإسلام.

(ب) انتشر الإسلام فى بلاد السند والبنجاب (باكستان الحاضرة):

علمنا مما سبق أن الجاليات العربية التى كانت تقيم فى السواحل الجنوبية لبلاد الهند قد دخلت الإسلام منذ بداية القرن الأول للهجرة، وكانت تعيش وتعمل فى رعاية الحكومات الهندية وتتمتع بالحرية الدينية والاحترام والرفاهية، ولكن التاريخ لا يذكر لنا بأن مثل تلك الحالة كانت موجودة فى السواحل السندية أيضا قبل الفتح العربى لبلاد السند والبنجاب كلها فى أواخر القرن الأول الهجرى، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن الحكام المحليين فى هذه المناطق السندية لم يكونوا يرحبون بالعرب مراعاة لمصالحهم المختلفة، لأن الدولة العربية الإسلامية كانت قد اتسعت كثيرا فى منتصف القرن الأول للهجرة حتى أخذت تقترب من حدود بلاد السند وكادت تحيطها من كل جانب، ولذلك كان حكام بلاد السند يخشون سياسيا على مصالحهم الشخصية والوطنية، وبالتالى لم يكونوا يشجعون على الإقامة على السواحل السندية حتى لا يصبح أثر أو نفوذ على تلك المناطق، وكذلك العرب أنفسهم كانوا يفضلون مجرد المرور بموانيها مثل ميناء الديبل وميناء تيز ولا يميلون للإقامة فى تلك السواحل السندية لوجود القراصنة من أهل السند

وعدم سيطرة الحكام عليهم، وأيضا لوجود الأخطار فى الطرق التجارية فى داخل بلاد السند والبنجاب بسبب إقامة بعض القبائل السندية الخطيرة مثل قبيلة الزط وقبيلة الميد على مقربة منها بقصد القيام بالهجوم على القوافل التجارية ونهب أموالها وقتل من يعترض طريقها، هذا بالإضافة إلى رداءه المناخ الصحراوى وقلة المياه وكثرة الهضاب فى بلاد السند، فتلك الأسباب لم تشجع العرب على ركوب المخاطر والمغامرات وإلقاء الأرواح إلى التهلكة فى سبيل التجارة، ولذلك لم تكن للعرب جاليات فى تلك السواحل أو الولايات السندية قبل الفتح العربى.

العرب فى إقليم مكران بالسند ودورهم فى نشر الإسلام:

ولكن لا ننسى بأن هناك منطقة واحدة من مناطق بلاد السند الواسعة وهى (منطقة مكران) التى اعتبرها كثير من الجغرافيين العرب وغيرهم إقليما مهما من أقاليم تلك البلاد فى ذلك العهد، وبابا للدخول إلى بلاد السند، فهذه المنطقة كانت فى أيدى العرب منذ أوائل القرن الأول للهجرة وكان الوالى الأموى يحكمها بصفة رسمية من قبل الخلافة الأموية، ولذلك يمكن لنا القول بأن كثيرا من التجار العرب وأفراد الجاليات العربية كانوا يقيمون فى ولاية مكران قبل فتح العرب لبلاد السند، وذلك منذ خلافة معاوية إلى سنة ٩٢هـ التى تم فيها فتح جميع أقاليم بلاد السند، وبالتالى نستطيع أن نقول بأن العرب قد أثروا فى سكان مكران من الناحية المذهبية والفكرية فى تلك الفترة التاريخية المبكرة ولاسيما فى البوذيين الذين كانت لهم صلة قوية بالسكان فى داخل بلاد السند، وعن طريقهم كانت أخبار العرب وأخبار دينهم الإسلام تصل إلى جميع سكان بلاد السند.

فلم يكن من السهل أن يتغلغل العرب المسلمون إلى داخل بلاد السند فى أوائل القرن الأول للهجرة وقبل الفتح العربى لأسباب جغرافية واجتماعية وسياسية كما أشرنا إليها، ولكن هذا كله لم يمنع أهل السند من الاختلاط بالعرب قبل الفتح العربى، بأهل السند لم يكونوا خائفين من السفر فى البحار بعكس ما كان عليه بعض الهنود فى جنوب الهند، فقد كان يشاهد بعض المسافرين من أهل السند

على السفن العربية بل كان كثير من السند يقيمـون فى البلاد العربية نفسها، فمثلا فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب حيـن فتح العرب بلاد فارس انضم عدد كبير من أفـراد قبـيلة الزط السندية إلـى الجيش العـربى وأعلنوا إسـلامـهم بعد أن قـرروا الانفصـال عن الجيش الإيرانى، ونقلوا جمـيعا إلى العـراق وسكنوا بعض المناطق والبطاح الواقعة بين مدينة البصـرة ومدينة واسط، وأخذ عددهم فى الازدياد حتى بلغ فى عهـد الخليفة المعـتصم العبـاسى سبعـة وعشرين ألف سندى وقـاموا بفتن واضطرا بات ضد الدولة العبـاسية وكان الخليفة على بن أبى طالب قـد عين بعضا من السند على مصارف البـصرة لمهارتهم فى الأعمال المصرفيـة والحسابات وكذلك كان حراس الخليفة عثمان بن عفان من أفراد قبيلة الزط السندية وقد دافعوا عنه يوم شهادته حتى قتلوا جميعـا على بابه قبل أن يستشهد هو رضى الله عنه وهكذا نجد فى التاريخ أمـثلة كثيـرة عن اتصالات السند بالعـرب قبل الفتح الإسـلامى لبلاد السند، وعن دخولهم فى الإسلام، ولا شك فى أن هؤلاء كانوا يسافرون بين حين وآخر إلى بـلادهم ويخبـرون ذويهم وأقرباءهم وأحـبابهم عن الإسـلام وتعاليـمه السامية وسـماحته الكبيرة، ولذلك يمكن لنا القـول بأنه إن لم يكن جماعات من أهل السند قد دخلت الإسلام فى داخل بلاد السند خوفا من حكامهم ولاسيما من البراهمـة فى أوائل القرن الأول للهـجرة قبل الفـتح الإسلامى لبـلاد السند، فإن النفوس كانت قـد استعدت لقـبول الإسلام بعد أن مهـد لها الطرق بواسطة السند الرحالين والمقـيمين فى البـلاد العربية، ولاسـيما البوذييـن منهم الذين كان بعض تعاليم مذهبهم يدعـوا إلى نشر الخير والعدل والمساواة والمحبـة بين أفراد المجتمع، ولكنهم كـانوا محـرومين من هذه الحـقوق فى بلادهم بسـبب نظام الطبقـات فى المذهب البرهمى المسيطر على الدولة والشعب فى بلاد السند.

على أن أهم الأسباب لعدم اهتمام العرب أو رغبتهم فى الإقامة والتجارة فى سواحل السند كـان هو وجود القـراصنة الأقوياء الذين كانوا يهـابون سلطة الدولة ويهاجمـون السفن التجارية العـربية المارة بميناء الديبل ببلاد السند فى طريـقها من

الموانى العربيـة إلى الموانى الهندية ثم موانى البنـغال وموانى الصـين، وكانت هذه الهجـمات للقراصنة كثـيرا مما تتكرر، ولذلك كانت السـفن العربية التجـارية قلما تقف عند ميناء الديبـل، وكانت الدولة الأموية تشكو دائمـا عن ذلك إلى الحكومة السندية ولكن بلا جـدوى، حتى أن استولى هـؤلاء القراصنة على السفن العـربية الثمانية المحـملة بالبضائع والهدايا والتحف الثمـينة، التى أهداها ملك سيلان إلى الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك والحجاج وإلى العراق، وكانت فى تلك السفن بعض النسوة العـربيات وفى طريقهن إلـى الحج، وفد نهب القراصنة كل البـضائع والتحف بل خطفوا النسـاء والتجار العرب أيضا إلى داخل مـدينة الديبل، واعتذر داهر ملك بلاد السند عن عدم استطاعته فى إعادة تلك النسوة والعرب، ونفد صبر الحجاج فأرسل حملتين لإنقاذ تلك النسـاء وهؤلاء العرب التجار وفشلت الحملتان واستشهد القـائدان العربيان وأسر أفراد جيشهما العـربى، وعندئذ قرر الحجاج فتح بلاد السند بقيادة القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفى فى سنه ٩٢ هـ.

وبفتح بلاد السـند والبنجاب فتح باب جـديد هام فى تاريخ الإسلام، كـما فتح باب مشـرق فى تاريخ بلاد السند والبنجاب خاصة وتاريخ شـبة القارة الهندية عامة، وقد كـان ذلك انقلابا عظيما فى تاريخ حياة شعـوب تلك المنطقة فى العالم وسببا هامـا لانتشار الإسلام فى بلاد السند والبنجاب، وبذلك تحول مـركز التبليغ للإسلام من السواحل الجنوبية ببلاد الهند إلى بلاد السند رغم وجود العرب التجار والجاليات العربية بالكثرة الهائلة فى تلك السواحل الهندية فى ميادين التجارة ونشر الإسلام هناك بالمقارنة مع الحالة الجديدة بعـد الفتح العربى لبلاد السند التى صارت مركـزا هاما للتبليغ للإسـلام فى شبه القارة الهنـدية، وذلك أن كثيرا من التـجار العرب فى سـواحل بلاد الهند قد هاجروا إلى بلاد السند بعـد قيام الدولة العـربية فيهـا ليعيشوا تحت رعـاية حكومتهم العربية الإسـلامية التى فتحت أسـواقا تجارية جديدة بعد القضاء على أخطار القراصنة والـقبائل السندية فى البحر والبر، وملت على سهولة المواصلات وربط بلاد السند ببلاد فـارس لقربها من البلاد العربية، ثم

ظهـرت بعد ذلك حـركات الدعـوة إلى الإسلام فى بلاد السند بواسطة الحكـومة العربية بها.

دعوة محمد بن القاسم الثقفى إلى الإسلام:

بعد أن انتهى القائد محمد بن القاسم من فتح عاصمة بلاد السند سنه ٩٢هـ وجه الدعوة إلى الأمـراء والحكام والوزراء والأعيان بل إلى عامـة الشعب للدخول فى الإسلام، وكان النجاح بفـضل تعاليم الإسلام السمحة العـادلة التى سمع عنها هؤلاء القوم ثم بفضل الصـفات الإنسانية التى كان يتحلى بهـا ذلك القائد الشاب الذى رفع الله شأنه رغم صغر سنه لخير الإسلام.

يرى بعض المؤرخين الأجانب أن دخـول بعض من هؤلاء السند فى الإسلام كان انتـهازا للفرص ولأغراض شـخصيـة، ولكننى أرى أنه من المؤكد أن الغالبـية منهم قبلوا الإسلام وفى أعمال العرب أنفسهم صفات طيبة، وأحبوا أن يعتنقوا هذا الدين الحنيف ليعيشوا مثل العرب أحـرارا فى دينهم ومعززين فى حياتهم، وكذلك قارن هؤلاء القيـوم تعاليم الإسلام بتعـاليم دينهم القديم فى النواحى الاجتمـاعية والأخلاقية والاقـتصادية، فوجدوا فى الإسلام مـعانى سامية وأحكاما عـادلة لخير البشرية فضلا عن دعوة الإسلام من تلقاء أنفسهم كما حدث مثل ذلك من قبل فى بلاد أخرى.

ونذكر هنا بعض الأمثلة لمن دخل الإسلام على يد القـائد محمد بن القاسم فى أيام الفتوحات، من الأفراد والجماعـات، ومن القبائل والجيوش، ومن العلماء والزعماء، ففى مـدينة الديبل بعد فتح العرب قلعتها التى كـان بها الأسرى العرب فكان معهم رجل سندى يسمى (قبله بن مهـترائج) ويعمل مديرا للسجن الذى كان فيه التجار العرب والنساء العـربيات وجنود القائد الشهيد بديل، ويبدو أنه تأثر من الناحيـة الفكرية لاختلاطه بهـم نحو سنتين أو أكـثر، ولذلك كان يرعـاهم رعاية طيبـة، وكان الحجاج قد أمـر بقتل كا من يحـمل السلاح فى داخل القلعة انتـقاما لهؤلاء الجنود الشهداء وقوادهم الذين ذهبوا ضحية فى سبيل إنقاذ التجار والنساء،

ونفذ محمد بن القاسم أمر الحجاج فيهم، ولما جاء دور هذا الرجل السندى، قال لمحمد بن القاسم أنه كان يرعى العرب المسجونين رعاية كريمة وكان يصبرهم فلذلك يرجو العفو، ولما تأكد محمد بن القاسم من صدق قوله عفا عنه، بل فرض إليه مهمة الإشراف على الأمور الاقتصادية بمدينة الديبل وتأثر بمعاملة محمد بن القاسم هذا فأعلن إسلامه لديه، وكان صادقا فى إسلامه ومخلصا له، ولذلك قربه القائد محمد بن القاسم الثقفى إليه أكثر وعينه مترجما لرئيس الوفد العربى بالشامى وأرسلهما إلى داهر ملك السند لتوجيه الإنذار إليه وكان الملك يعرف هذا الرجل ونفهم من بيان مؤلف كتاب ججنامه أنه كان يعرف اللغة العربية أيضا ولذلك كلف لهذه المهمة الخطيرة، ويبدو أنه تعلم العربية من العرب المسجونين بمدينة الديبل حين كان مديرا للسجن ويعتبر هذا الرجل هو أول سندى دخل الإسلام فى أيام الفتوحات وكان برهمى المذهب وعى ذلك فإن أول من دخل الإسلام ببلاد السند لم يكن بوذيا بل كان برهميا، بالرغم من أن البوذيين كانوا متفاهمين مع المسلمين أكثر من البرهميين.

وفى سيوستان من إقليم بلاد السند، بعد أن فتحها العرب جاء وفد من قوم " جنه " المقيمين فى منطقة تابعة لإقليم سوستان وعرضوا الطاعة للعرب وبعد أيام دخل هؤلاء القوم بجملتهم فى الإسلام وكانوا يعتنقون المذهب البوذى، وبذلك يعتبر هؤلاء أول جماعة كبيرة من أهل السند البوذيين يدخلون فى الإسلام أيام الفتوحات عن رغبة وعقيدة بعد دراسة تعاليم الإسلام وصفات العرب الحميدة.

وكان والى مدينة النيرون البوذى ورجاله الخواص متصلين بالحجاج مبايعين له بالطاعة، لا بعد الفتح العربى لبلاد السند بل قبل الفتح بعام تقريبا، وحين دخل القائد محمد بن القاسم مدينة النيرون رحب به الوالى وفتح له باب المدينة، وصار مساعدا عسكريا وسياسيا له وساعده فى كثير من مراحل فتوحاته لاسيما فى سيوستان بأخذ البيعة من أتباعه الكثيرين من البوذية هناك، فهذه البيعة المبكرة وهذا

الولاء وهذه المساعدة الكبيرة تدل كلها على ميل الوالى وقواده وخواصه بل شعبه إلى الإسلام، ولا توجد بيانات واضحة عن دخولهم فى الإسلام فى أيام الفتوحات ولكن الأحداث التاريخية فيما بعد تشير إلى ذلك لعدم ذكر البوذية فى هذه المنطقة فى السنوات القادمة بل القرون التالية لعهد الفتوحات الإسلامية، فهم فى الغالب دخلوا فى الإسلام من أنفسهم بعد اندماجهم فى صفوف العرب فى الحكومة والجيش ببلاد السند.

وفى يوم القتال الرهيب والحرب المصيرية بين محمد بن القاسم وبين داهر بن ملك السند، توجه بعض من القواد السند مع فرقهم من الجيش أثناء المعركة إلى محمد بن القاسم، وأعلنوا إسلامهم لديه، ثم عرضوا عليه خطة عسكرية وهى أن يأذن لهم بأن يقوموا بمهاجمة مؤخرة جيش داهر عى غفلة فى حين يقوم الجيش العربى بهجوم شامل من الجيش السندى من الأمام، فوافق محمد بن القاسم على الخطة وجعل مروان بن أشجم اليمنى وتميم بن زيد القيسى قائدين عليهم، ففاجأوا العدو بهجوم من الخلف، وفى الوقت الذى قام الجيش العربى بحملة عنيفة من الأمام، فدخل الرعب فى القلوب وتذبذب الجيش السندى واضطرب اضطرابا شديدا وقتل الكثيرون من أفراده وهذه هى المجموعة الثانية الكبيرة من أهل السند والجماعة الأولى من البرهميين تدخل الإسلام على يد محمد بن القاسم نفسه أيام الفتوحات لا بالقوة وإنما بالرغبة وعن إيمان ويقين بعظمه الإسلام، مع أن الحرب كانت لا تزال دائرة وكان الملك العظيم لا يزال على أشد قوته حياه يحارب بعزم وصلابة ولم يكن من السهل معرفة نتيجة هذه المعركة المصيرية، وكان عدد أفراد الجيش العربى لا يزيد على اثنى عشر ألفا، بينما كان عدد أفراد الجيش السندى يزيد على مائة ألف مقاتل وتسعين من الفيلة المقاتلة، بالإضافة إلى كثرة الأسلحة لدى السند ووفرة المواد الغذائية فضلا عن معرفة أهل السند بخبايا بلادهم، وهذه الواقعة تدل على أن الذين كانوا يدخلون الإسلام أو يعلنون الطاعة للعرب من الزعماء والحكام والقواد قبل مقتل داهر مثل حاكم

النيرون البوذى وحاكم منطقة بت البوذى الأمير كاكه بن بسايه وإخوته ووالدهم، وكبار القواد فى الديبل والنيرون وسيوستان ثم بعض الوزراء مثل سياكر وزير داهر وكذلك بعد مقتل داهر دخل فى الإسلام كثير من حكام وأمراء المناطق الأخرى مثل الأمير كاكه بن جندر وهو ابن عم الملك وحاكم منطقة البانية الواسعة تدل على أن ذلك كان حسب رغبتهم فى الوقت الذى كانوا لا يزالون أقوياء، وكان قبولهم الدخول فى الدين الإسلامى لعلمهم بسماحة الإسلام وعدالته ولا سيما الصفات الإسلامية الإنسانية التى كان يتحلى بها القائد محمد بن القاسم، فلم يكن إسلام هذا العدد الكبير من القواد والحكام والآلاف من أفراد القبائل والجيوش والعوام من أهل السند وقبولهم الطاعة أيام الفتوحات بالقوة والإكراه كما يدعى ذلك أعداء الإسلام وأعداء الأمة السندية المسلمة من المؤرخين الأجانب وغيرهم.

وكانت أغلبية الشعب السندى تسكن المدن والأقاليم الواسعة مثل الديبل والنيرون وسوستان وراور وغيرها، وقد رأينا كيف دخلت الأفراد والجماعات والقبائل الكثيرة بتلك المناطق فى الإسلام فى عهد محمد بن القاسم والبقية منهم قد قبلوا الطاعة للعرب، ولم نسمع بعد ذلك أنهم قاموا بالحركات المعادية ضد العرب إلا فى حالات قليلة، ولعل الكثيرين من هؤلاء أيضا دخلوا الإسلام فى عهد محمد بن القاسم ثم فى عهد من جاء بعده من الولاة العرب، وخاصة أصحاب المذهب البوذى منهم الذين لم نسمع أخبارهم بعد ذلك، وفى الغالب دخل البوذيون المقيمون بتلك المناطق الهامة فى الإسلام، ويدل على ذلك ترحيبهم الحر للعرب، ومساعدتهم لهم فى القضاء على سلطة البراهمة، ودخول جماعات كبيرة عديدة منهم فى الإسلام أيام الفتوحات نفسها، وبما أن الأكثرية من الشعب السندى كانوا من البوذية رغم كون الحكومة من البراهمة فى أيام الفتح العربى يمكن لنا القول بأن أغلبية الشعب السندى قد دخلوا الإسلام فى عهد العرب الذى أستمر أكثر من ثلاثة قرون من الزمن، وقد وقعت مثل هذه الواقعة من قبل حين تقرب البوذيون من العرب المسلمين ببلاد فارس وتركستان وأفغانستان ودخلوا

الإسلام فى سنوات قليلة بعد فتح تلك البلاد مباشرة، ولابد أن البوذية فى بلاد السند قد سمعوا أخبار البوذيين الذين تشرفوا بقبول الإسلام قبلهم فى البلاد الأخرى وما وصلوا إليه من مكانة اجتماعية وسياسية فى تلك البلاد بعد إسلامهم وبفضل معاملة العرب الطيبة لهم، مما شجع ذلك سكان بلاد السند البوذيين فى قبول الإسلام والاندماج فى العرب بسرعة وبرغبة شديدة، وكذلك يمكن لنا القول بأنه لولا كون البوذية أغلبية الشعب السندى لكان من الصعب استمرار العرب فى الحكم لقرون عديدة فى تلك البلاد الواسعة بسبب ظروف كثيرة سياسية وقبلية واجتماعية.

ومن ناحية أخرى يبدو أن الديانة البوذية فى عهد العرب ببلاد السند كانت تمر بمرحلة دقيقة جدا لدرجة أن علماءها أيضا لم يكونوا ينظرون إلى دينهم بعقيدة راسخة، ولعل أهم سبب فى ذلك كان يرجع إلى العوامل النفسية والاجتماعية، وكانت الديانة فى المناطق التى كانت فى أيدى الحكام البراهمة قد أخذت تضمحل بالتدرج نتيجة للاضطهاد المذهبى الوحشى من جانب البراهمة فى الوقت الذى كانت الديانة البرهمية تأخذ طريقها من جديد لوصول إلى مكانتها المذهبية والسياسية القوية السابقة، وأما الأغلبية من البوذيين الذين كانوا يقيمون فى المناطق التى يحكمها الحكام العرب قد دخلوا الإسلام كما قلنا حين وجدوا فى تعاليمه كل معانى الخير من عدالة اجتماعية وحرية دينية ولا سيما طريقا للخلاص من مظالم البراهمة.

الدعوة الثانية إلى الإسلام:

كانت الدعوة الثانية المنظمة الكبيرة إلى الإسلام، هى دعوة الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز الأموى، وإجابة لهذه الدعوة المباركة دخل فى الإسلام عدد كبير من الأمراء والحكام فى بلاد السند وخارجها، وكان معظمهم من البوذية والإقليمية من البرهمية، من بينهم الأمير جيسية بن داهر ولى عهد بلاد السند وشقيقه الأمير صصه بن داهر، وكان جيسية فى هذا الوقت يحكم منطقة برهمناباد

التى خرجت من أيدى العرب منذ الاضطرابات السياسية التى قامت بعد مقتل القائد محمد بن القاسم بالعراق سنة ٩٦هـ ولا شك فى أن الحاكم إذا دخل الإسلام لابد أن تتبعه أغلبية شعبه ولا سيما معظم قواده ورجال حكومته، وعلى ذلك دخلت جماعات كبيرة من البرهميين فى الإسلام فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز العادل رحمه الله.

الدعوة الثالثة إلى الإسلام:

كانت الدعوة الثالثة المنظمة الكبيرة من طرف الخليفة المهدى العباسى فى سنة ١٥٨هـ، فبعد توليه الخلافة اهتم بالتبليغ والدعوة للإسلام، فكتب رسائل رقيقة فى هذا الموضوع إلى كثير من حكام وملوك وأمراء العالم وبعث إليهم وفوده من العلماء ليدعوهم إلى الإسلام وكان معظم هؤلاء الحكام من الذين يخضعون لسلطان الخليفة العباسى السياسى، فقد كان من ثمرة هذه الدعوة المقدسة أن دخل فى الإسلام خمسة عشر ملكا وأميرا وكانوا يحكمون مناطق مختلفة من بلاد السند وعلى حدود مع بلاد الهند.

وهكذا أخذ الإسلام ينتشر يوما بعد يوم وتتسع دائرة انتشاره، بفضل تلك الدعوات شبه الرسمية إلى الإسلام والعلاقات الطيبة بين العرب المسلمين وأهالى السند غير المسلمين، وكذلك بسبب صلات القرابة والنسب بين العرب وأهل السند المسلمين فى تلك المنطقة من العالم.

وذكر البلاذرى أن ملكا هنديا وهو ملك ولاية عسيفان قد دخل الإسلام، وكانت عسيفان فى ذلك الوقت تقع فى إقليم البنجاب على الحدود مع بلاد الهند، ولكنها لم تكن تتبع حكومة العرب فى الملتان وكانت سبب دخوله فى الإسلام هو عدم شعوره بالارتياح والاطمئنان فى مذهبه وكان فى الغالب برهمى المذهب.

وكذلك فى عهد الأمير عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الهبارى أمير الدولة العربية الهبارية ببلاد السند فى سنة ٣٧٠هـ، وطلب منه ملك لمنطقة سندية مجاورة

لمدينة المنصورة عاصمة تلك الدولة العربية، أن يبعث إليه بتعاليم الإسلام لرغبته الشديدة فى معرفتها، فألف شاعر عربى قصيدة باللغة السندية عن تعاليم الإسلام فأرسلها أمير المنصورة إليه، فأعجب الملك بها كثيرا وطلب حضور الشاعر العالم نفسه الذى ظل معه ثلاث سنوات يفسر له القرآن الكريم كله ثم ترجمه فى النهاية إلى اللغة السندية حتى أعلن الملك إسلامه لدى هذا العالم العربى وهناك أمثلة كثيرة عن دخول عظماء بلاد السند والملتان والأمراء والقواد فى الدين الإسلامى برغبتهم بعد دراسة دقيقة لحقائق الإسلام ومبادئه الاجتماعية العادلة.

زيادة انتشار الإسلام بسبب عملية المزج بين الأمم:

نلاحظ أن فتح العرب للبلاد الأخرى تسبب فى عملية مزج واسعة قوية بين العرب الفاتحين والأمم المفتوحة، مزج فى الدم ومزج فى النظم الاجتماعية ومزج الآراء العقلية، وكان من أهم أسباب هذا المزج تعاليم الإسلام فى الفتح، ودخول كثير من أهل البلاد المفتوحة فى الإسلام، والاختلاط بين العرب وغيرهم فى السكن والعمل فى البلاد.

وتقضى تعاليم الإسلام فى الفتح بأنه أراد المسلمون غزو بلد وجب عليهم أولا أن يدعوا أهله دخول الإسلام فإن أسلموا كانوا هم وسائر المسلمين سواء فى الحقوق والواجبات، وإن لم يدخلوا الإسلام دعوهم إلى تسليم بلادهم للمسلمين يحكمونها ويبقون هم على دينهم إذا أرادوا ذلك ويدفعون الجزية للعرب فإن قبلوا ذلك كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، ويكونون فى ذمة المسلمين يحمونهم ويدافعون عنهم ومن أجل هذا يسمون " أهل الذمة " وإن لم يقبلوا الإسلام ولا الدخول تحت حكم المسلمين ولا دفع الجزية أعلنت عليهم الحرب وقوتلوا وفلا أثناء القتال يحل للمسلمين أن يقتلوا المحاربين ومن يعينهم على الحرب، فأما المرأة والطفل والشيخ الفانى والأعمى ونحوهم فلا يجوز قتلهم فى الإسلام، ما لم يكن أحدهم ذا رأى فى الحرب يؤلب الكفار على المسلمين، وبعد الحرب يمكن للمسلمين أن يأخذوا الأسرى عبيدا وجوارى ثم بعد ذلك لهم الحق

فى أن يطلقوا سراح الأسرى منا وكرما أو فى مقابل فدية، ويدل على ذلك قوله تعالى: (حتى إذا أثخنتموهم فى الحرب فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء) أما أهل البلد المفتوح غير المحاربين فيدفعون الجزية.

وكان كثير من أهل البلاد المفتوحة يقعون فى الأسر فى أيدى العرب الفاتحين أثناء الحرب أو القتال ويصبح كثيرا منهم عبيدا وجوارى للعرب، وكان لهؤلاء العبيد والجوارى أثر كبير فى عملية المزج بينهم وبين العرب من نواح عديدة، وكان العرب يطلقون سراح العبيد والجوارى بعد مدة من الزمن ويردون لهم حريتهم إذا دخلوا الإسلام أو أحسنوا الخدمة أو بلغوا درجة من العلم والكمال، وكان للعرب الحق فى الاستمتاع بالآماء وإذا ولدت الآمة ولدا من سيدها تسمى " أم الولد " وتبقى فى ذمته ولا يحق له أن يبيعها لأحد بل وجب عليه رعايتها طول العمر وإذا مات هو صارت حرة، فالأولاد الذين كانوا يأتون إلى الوجود عن طريق الإماء كانوا كثيرين فى العدد وكانوا يتبعون الآباء فى الدين وبذلك كان أيضا يزيد عدد من المسلمين وبزيادة عددهم يزداد انتشار الإسلام بين الآخرين بالتأثر الفكرى والاجتماعى، وقد أنتج هؤلاء الأرقاء والموالى والإماء الذين دخلوا الإسلام، أنتجوا فى الجيل الثانى لعهد الفتح عددا كبيرا من خير المسلمين وكان منهم من حمل لواء العلم والمعرفة فى تلك البلاد.

ومن عوامل الامتزاج وانتشار الإسلام أيضا دخول شعوب البلاد المفتوحة فى الإسلام، فقد دخل الإسلام كثير من أهل البلاد المفتوحة وامتزجوا بالعرب كأنهم منهم بعد الفتح وخدموا الإسلام بإخلاص فى تلك المناطق من العالم.

وكذلك الاختلاط فى السكنى والعمل يعتبر من عوامل الامتزاج وانتشار الإسلام، فقد صارت البلاد المفتحة مسكونة بالفاتحين العرب والمفتوحين من أهل البلاد واشتركوا جميعا فى الحركة الاجتماعية والاقتصادية، وبالتالى تأثر أهل البلاد المفتوحة بأفكار الفاتحين من الناحية المذهبية والفكرية، مما أدى ذلك أيضا إلى انتشار الإسلام بين الطبقات المختلفة.

وكان لهذه العوامل التى ذكرناها أثـرها فى الامتزاج بين العرب وأهل البلاد المفتوحة، وبالإجمـال فإن كل مرافق الحياة والنظم السياسية والاجـتماعية والفكرية تأثرت تأثرا كبـيرا بهذا الامتـزاج الذى ساعد كـثيرا على انتشـار الإسلام فى تلك البلاد الواسعة.

دور المساجد فى نشر الإسلام وخدمة العلم:

مما هو جدير بالذكر والتـقدير هنا أن محمد بن القاسم الثـقفى - رغم صغر سنه وكـونه قائدا عـسكريا ورغم مـا كان ينتـظره من المشاق والجـهود والحـروب والمخـاطر منذ اليوم الأول الذى وضع فـيه قـدمـه على أرض بلاد السند فى سنة ٩٢هـ اهتم بالأمور الدينية والإسلامية اهتماما عظيما وفكر فى وضع الخطة السليمة لتبليغ الإسلام التى عـرف حاليا باسم دولة باكستان، والتى حكمـها العرب حكما إسلاميا حتى سنة ٤١٦هـ.

ففى أيام الحروب والفتوحات وذلك فى خلال ثلاث سنوات متوالية، قبل أن يتفـرغ تماما من فتح كل أجزاء بلاد السنـد، بل حتى قبل حربه المصـيرية مع داهر ملك السند وقبل سقـوط العاصمة السندية وقـبل الاستيلاء على الأقاليم الشـرقية ذات الحصون المنيـعة والقلاع العظيمة التى كانت مـدججة بآلاف من الجنود وأنواع الأسلحة الخطيرة، وقبل إخضاع المدن الكبيـرة التى يحكمها أمراء عظام، فإنه حين بدأ بالفتح فى المناطق الغربيـة لبلاد السند، كان يقيم المساجد فى كل مـدينة كبيرة يفتـحها ويـسكنها عددا كـبيرا مـن العرب ويعين الأئمـة والعلماء والقـضاء لأداء الشعائـر والفرائض الدينية وإدارة الشئـون المذهبية والتعليـمية، فهذا الـتصرف من جانب ذلك القائد يدل على شيـئين مهمين: أولهما هو اعـتماده القوى على الله، وإيمانه الكامل بأن الله سـينصره فى كل خطوة من خطواته مادام قـد أخلص النية لله وفى سبيل الله ولإعلاء كلمة الحق والدين، رغم قلة العدد وقلة العدد، ورغم المصاعب والمشاكل التى تحيط به من كل جهـة، مثل سوء المناخ وقلة المواد الغذائية ومخاطر القبائل السندية كالزط والميد، وثانيهـما هو اهتمامه الشديد بالأمور الدينية

والسعى للدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة أيمانا منه بأن الدين هو دستور الحياة، لقد اهتم بالأمور الدينية رغم الظروف القاسية وذلك بالعمل على تطبيق تعاليم الإسلام على العرب المقيمين فى تلك المناطق ونشر هذه التعاليم بين أهل بلاد السند الذين يرغبون فى معرفة حقيقية الإسلام أو الدخول فى هذا الدين الحنيف.

ولا شك فى أن تلك المساجد بجانب إقامة الصلوات الخمس والشعائر المذهبية وتدريس العلوم فيها، قد جذبت انتباه أهل السند وأوجدت عندهم حب الاستطلاع والمعرفة عن الإسلام، مما أدى ذلك إلى السعى لدراسة تعاليم الدين الإسلامى وبالتالى أدى إلى قبول الكثيرين منهم للإسلام عن رغبة صادقة وعقيدة راسخة فى القلوب على أيدى هؤلاء الأئمة والعلماء والقضاء والقائمين بمهمة التبليغ بجانب أداء واجباتهم الدينية، نحو العرب المسلمين.

فمن المساجد التى بناها محمد بن القاسم فى أثناء فتوحاته فى المناطق الغربية ببلاد السند قبل حربه المصيرية مع داهر ملك بلاد السند مثل المسجد الذى بناه بمدينة الديبل فى سنة ٩٢هـ والمسجد الذى أقامه فى مدينة النيرون فى سنة ٩٢هـ أيضا ثم من المساجد التى شيدها بعد انتهائه من ظهر علماء أجلاء من أهل السند أنفسهم فى المنصورة والديبل والملتان بصفة خاصة وفى المدن الأخرى بصفة عامة، وكان لهؤلاء العلماء العرب بالاشتراك مع العلماء السند أثر كبير فى انتشار الإسلام على مساحات كبيرة فى هذه البلاد، وتعميم تدريس العلوم الإسلامية كالفقه والحديث والتفسير وكذلك اللغة العربية فى مختلف المناطق بين مختلف الطبقات.

وكذلك حين توسع الولاة العباسيون فى ميدان الفتح وفتحوا بعض المدن الهندية المجاورة لحدود بلاد السند أقاموا فيها بعض المساجد، وإن لم يستمر حكمهم فيها سوى سنوات فى كل مرة ومنها: المساجد التى أقامها الجنيد ابن عبد الرحمن المرى والى السند فى خارج بلاد السند على الحدود باقليم الكجرات الشمالية ببلاد الهند حين فتحها سنة ١١٣هـ تقريبا والمسجد الكبير الذى بناه هشام

ابن عـمرو التـغلبى والى بلاد السند بمدينة القندهار (كـندهار) بعد فـتحـه لإقليم الكجرات ببلاد الهند فى سنة ١٥١هـ وكذلك المسـاجد التى بناها الفضل بن ماهان ووالده فى مدينة سندان وما حولها من المـدن فى سنة ٢١٧هـ وما بعدها حين أقام هؤلاء الثلاثة دولة مستقلة لهم فى تلك المنطقة لفترة قصيرة من الزمن.

وكذلك بنـى العرب مسـاجد أخـرى كثيـرة فى المدن السندية المختلـفة أثناء حكمهم الذى استمر إلى سنة ٤١٦هـ، فى بلاد السند، ولا شك فى أنه كان لتلك المساجد دور كبير فى ميدان التبليغ للإسلام لكونهـا مراكز دينية إسلامية، كما كان للأئمة والـعلماء والقضـاة القائمـين بمهمـة الدعوة إلى الإسلام وبتـدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية، والعمل على نشرها بشتى الطرق خدمة لدين الحق، دين التوحيد، دين العـدالة الاجتماعية، دين الإنسانيـة، حتى إذا ما وصلنا إلى أواخر القرن الرابع الهجرى والسنين الأخيـرة من حكم العرب ببلاد السند والملتان وجدنا هذه المدن المشهورة وضواحـيها إسلامية أو شبه إسـلامية، بمعنى أن معظم السكان فيها صاروا من المسلـمين ولا سيما فى مدينة المنصورة وضواحيـها، ومدينة الملتان ونواحيها، وفى المدن الأخرى الكبيرة نحو نصف السكان كانوا من المسلمين العرب والسند، ذلك بفضل هذه المساجد العامرة التى صارت أكبر معاهد للدرس والعلم، كما اشتهـرت تلك المدن الكبيرة وخاصة المنصورة والملتان والديبل بجـهود علمائها العظام وأصـبحت من أهم مراكـز الثقـافة الإسـلامية، لا فى بلاد السنـد والملتان وحدها بل فى شبه القارة الهندية كلهـا، وخرجت من هذه المساجد والمعاهد المئات من العلماء السند الذين شاركـوا إخوتهم العلماء العرب فى نشر العلوم الإسـلامية لا فى داخل بلاد السند بل حتى فى البـلاد العربية ودار الخلافة الـعباسية نفـسها، وقد وصل عدد كبير من هؤلاء العـلماء السند إلى مناصب عالية فى الدولة بفضل الإسلام.

وهكذا رأينا كيف كان دور العرب التجار والجاليات العربية فى نشر الإسلام فى السواحل الجنوبيـة لبلاد الهند منذ فجـر الإسلام، ثم كيف كـان دور الحكومة

العربية فى رفع راية الإسلام عالية خفـاقة فى بلاد السند والبنجاب منذ فتحها سنة ٩٢هـ إلى سنة ٤١٦ هـ، وكـان من نتيـجة ذلك أننا نرى اليـوم البـاكستـان دولة إسلاميـة عظيمة ونرى بنغلاديش أيضا دولة إسـلامية كبيرة وكـذلك نرى عشرات الملايين من الإخوة المسلمـين فى بلاد الهند، وبعبارة أخرى نسـمع صوت الإسلام عاليا فى جميع أنحاء شبه القارة الهندية.

* * *